الدكتور ابراهيم بيومى مدكور رئيس مجمع اللغة العربية ، وواحد من كبار مفكرينا وفلاسفتنا المعاصرين ، عاش بين جنبات المجمع ما يزيد على ربع القرن من الزمن ، عاملا فى ميدان الحفاظ على اللغة العربية ، واثرائها ، وتيسيرها من اجل ان يظل اللسان العربى مستقبلا فى كل يوم العديد من اسرار هذه اللغة الغنية الثرة ..

وفى رحلته الطويلة مع معشوقته والتى وهب نفسه لها .. كان لقائى معه ، متناولا فى البداية حوارا حول حركة الاستشراق ..

الدكتور إبراهيم مدكور يتحدث عن

الاستشراق وقضايانا

قلت للدكتور مدكور : متى بدأت حركة الاستشراق وما هى بواعث ظهورها ؟

ـ أولع الغرب من قديم بالتعرف على الشرق ، وكشف ما فيه من أسرار ، ولا يقف هذا عند الشرق الادنى ، بل يمتد الى الأوسط والأقصى ، ويمكن أن تعد حروب الاسكندر فى التاريخ القديم ضربا من الاستكشاف ، وان كان هدفها الاول غزو الفرس ، والحروب الصليبية فى القرون الوسطى على ما دفع اليها من أهداف دينية ، لم تخل من استكشاف أيضا ، وان غلب جانبها العسكرى على جانبها الثقافى .

ولعل من أوضح الاحداث الدالة على رغبة أوربا فى الوقوف على ثقافة العالم الاسلامى وفلسفته ابان القرون الوسطى أمرين :

أولهما : حركة الترجمة التى بدأت فى القرن الحادى عشر ، ودامت نحو قرنين وكان هدفها الاول أن تنقل من العربية الى اللاتينية فنون الفكر الاسلامى ، ومن أهم مراكز هذه الترجمة طليطلة فى بلاد الاندلس ، وكذلك فى صقلية .

وثانيهما : علاقة الامبراطور فردريك الثانى بهذه الحركة الثقافية واسهامه فيها اسهاما واضحا ، ومحاولة نشر

الترجمات اللاتينية في المعاهد الاوربية الكبرى ، ولم يخل هذا من تنافس

مع الكنيسة الغربية، وحاول الامبراطور الاتصال بكبار علماء الاسلام ، وكان

من اثار هذه الترجمة أن هناك نصوصا

عربية فقدت أصولها ، ولم يبق الا ترجمتها اللاتينية في العلم والفلسفة ·

وعن هذه الترجمات صدر باحثو

الغرب ، وتحركوا عليها حتى القرن الثامن عشر ، ولعلها كانت من بواعث حركة الاستشراق الحديثة ، مضافا اليها أسباب استعمارية أهمها رغبة

المستعمر في التعرف على ثقافة البلاد التي يحكمها ، أو سهولة الاتصال

بالعالم العربي والعيش فيه عن طريق الاستعمار ·

والآن فحركة الاستشراق العلمية الحديثة بدأت في أخريات القرن الثامن عشر ، ونمت في القرن التاسع عشر ،

المعاصرة

وازدهرت فى أخريات هذا القرن وفى الربع الاول من القرن العشرين وهذا هو عصرها الذهبى ..

●● نريد ان نتعرف على اهداف حركة الاستشراق ، وواضح من قول سيادتكم انهم خططوا لها بعناية ، وبالتالى ما هى الثمار التى تحققت من جراء ذلك ؟

ـ ربما دفع الى الاستشراق قدر من حب الاستطلاع ، وبعض التوجيهات السياسية ، وشىء من التعصب الدينى، ولكنه انتهى الى الوقوف على كنوز حقيقية فى الفكر الاسلامى تعلق بها الغربيون ، ورغبوا فى اقتنائها وفهمها. وفى بعض المكتبات الاوربية والامريكية مخطوطات لا وجود لها فى العالم العربى ، وغدا المخطوط أثرا تاريخيا تبذل جهود وينفق مال للحصول عليه وفى القرن التاسع عشر كان هناك تجار فى المخطوطات كتجار العاديات الاخرى ولا يزالون موجودين حتى اليوم ، والقائمون على التكايا والزوايا والمساجد بوجه خاص مسئولون عن قدر كبير من هذا التراث الذى حرم منه أهله .

ولكن هذا التراث فى قدر كبير منه وقع فى أيد أمينة ، فحفظ حفظا جيدا ، ولست فى حاجة أن أشير الى أن قسم المخطوطات فى المكتبات العامة الاوربية والامريكية يفرق فى عنايته ودقته ما تراه فى مكتباتنا العربية .

ولم يقف الغربيون عند الحفظ والعناية بالمخطوط ، بل نشروا قدرا من مخطوطاتنا العلمية نشرا دقيقا محكما ، وترجموا بعضها الىاللاتينية مرة اخرى أو الى بعض اللغات الاوربية الحديثة .

ولم تقتصر عنايتهم على ميدان خاص ، فنشروا فى الادب واللغة ، فى العلم والفلسفة ، فى الاخلاق والتصوف ، وافادوا فى نشرهم من المنهج العلمى الدقيق ، ولهم تحقيقاتلم يسم اليهاكثير من تحقيقاتنا المعاصرة . وكثير من ناشرينا فى أوائل هذا القرن كانوا عالة على جهود المستشرقين السابقين ..

والى جانب التحقيقوالترجمة والنشر قاموا بدراسات فيها البرىء والنزيه ، والعلمى الدقيق وافادهم فى ذلك تمكنهم من اللغات الشرقية ، ووقوفهم على تاريخ الثقافات الانسانية ومن هذه الدراسات ما طغى عليه التعصب أو ما جمحت به الاهواء .

هذا الى أنه قد يفوت بعض هؤلاء الباحثين ادراكهم لاسرار العربية واحاطتهم بجوانب الثقافة الاسلامية ..

●● هل يمكن أن تذكروا لنا بعضا من انتاج المستشرقين ، وايضا أهم الدراسات التى كانوا يوجهون نظرهم شطرها ؟ ..

ـ ينقسم انتاجهم الى بابين هامين : ملخصات ، ونظرات مجملة فى الثقافة العامة ، ودراسات متخصصة عميقة .

فمنهم من تخصص فى الفقه الاسلامى كسنوخ الهولندى وجسرلد تسيهر

النمســـاوي ، ومنهم من تخصص في التصوف مثل نكلسون الانجليـــزي ،

وماسينيون الفرنسي ، أو في دراســـة شخص معين مثل فاندنبرج الذى عنى

بابن رشد ، وهنري كوربان الذى وقف حياته على السهروردي ٠

ومنهم من أولع بتاريخ العـــــلوم كالكيمياء، ومن باحثيها المهتمين روسكا

الالماني ـ أو تاريخ العلم بوجه عام على نحو ما صنع سارتون البلجيكي الاصل

ولا شك أن الاستشراق وســـــع

الدراسات الفيلولوجية في أوربا وسمح بمقارنات بين اللغات الشرقية القديمة ،

واللغة اليونانية واللاتينية هذا الى أن تاريخ العلم في الاســـــلام كان يعنيهم

لاستكمال معلوماتهم عن البحث العلمي في الاسلام ، وأخيراً شغلهم التصـــوف

الاسلامي ليقفوا على الجوانب الروحية الشرقية ٠

●● ماهي اكثر المدارس التي اهتمت

بالاستشراق ٠٠ وهـــل ما زالت تعنى بالحضارة القديمة ؟

ـ المستشرقون لم يقفوا عنـــد بلد معين ، فمنهم أســـبان وايطاليون ،

وانجليز، وفرنسيون، وألمان، وهولنديون ومنهم روس أيضا ، وقد حرص عـــدد

منهم على أن يقيم في القاهرة أو في بلد عربي آخر زمنا ٠

ولا شك أن مدرسة الالمان ، والمدرسة

الفرنسية والانجليزية ، كانت على رأس حركات الاستشراق جميعها ، وازدهرت

هذه الحركات كما تحد من قبــــل في الثلث الاخير من القرن الماضي والنصف

الاول من هذا القرن ، ثم أخذت تتضاءل بعد الحرب العالمية الثانية ، وتعنى الآن

بالعالم العربي المعـــاصر أكثر ممـــا تعنى بالدراسات الاكاديمية٠ ومن حسن

الحظ أن العرب انفسهم بدأوا يضطلعون بهذا العبء ٠

●● ماذا يؤخــــذ على منـــاهج المستشرقين في تناولهم لفكر وثقـــافة كتبت بلغة غريبة عنهم ؟

ـ الواقع أنه من الناحية العلميةيمكن أن نقسم دراســـــات المستشرقين الى قسمين :

الاول : دراسات للمعلومات العامة والقراءة العادية وهذه لم تحظ بالدقة ،

ولا بالعمق اللازم ولم تخل من اخطاء أيضاً ٠

الثاني: دراسات اكاديمية متخصصة ولاشك في أن المستشرقين قد طبقوا فيها على الجملة مناهجهم العلمية الدقيقة

من تعويل على المصادر الاولى واستعانة بالمنهج المقارن لمقابلة الافكار الاسلامية

بنظائرها في الثقافة اليونانية ، وكان منهم فريق أمين كل الامانة في نقـــله

ونقده وحكمه ٠ ولكن لم يمنع هـــذا ان من بينهم من دفعه التعصب الســـياسي

أو التعصب الديني الى تصوير الامور على غير وجهها ٠

وهنا أقول ان الاستشراق ككل عمـل فيه خير وشر ، فيه جيد ورديء ٠ ولكن

خيره يغلب على شره ، وجيده يغطي على رديئه ، لا سيما بعد أن ظهر بين

المستشرقين متخصصون يبحثـــون عن العلم للعـــلم ، ويربأون بالبحث عن

الدعاية والاعلام ، وينشدون الحقيقة

فى ذاتها ..

●● بماذا تدين الثقافة العربية الان لجهد المستشرقين ؟

لذلك ثمار يعنينا ان نشير من بينها الى ما يلى :

١ ـ وجهوا النظر للاصول الاولى للفكر الاسلامى ، واحيوا منهـا قدرا كبيرا ، الامر الذى تعنى به الان البلاد الاسلامية عامة ، والعربية خاصة .

٢ ـ انهم وجهوا فى دراستهم النظر الى المنهج التاريخى الذى يقـوم على تأصيل المسائل ويبين تطورها ، ولم يفتهم ايضا ان يلجأوا الى المنهج المقارن، وان اخطأت المقارنات احيانا فى محاولة رد كل ما هو عربى الى أصل يهـودى أو مسيحى .

٣ ـ وجهوا البحث نحو التخصص ، فهناك مستشرقون وقفوا حياتهم عـلى مدرسة بعينها أو مفكر بذاته .

قلت للدكتور ابراهيم مدكور .. ان الحديث عن الاستشراق يدفعنا لتناول بعض القضايا المعاصرة التى تشغلنا الان ويسعد قراء الهـلال ان يحظوا بتفسير لهذه القضايا الملحة .. ففى الماضى اضاف الفكر الفلسفى العـربى لتيار الفلسفة الانسـانية اضافات اسهمت فى تعميق منسوبه ، هل تعتقد ان الفكر العربى يضيف الى تيـار الفلسفة جديدا الان ؟

ـ لا شك فى أن هناك فلسفة عربية ، وهى حلقة لها شأنها فى تاريخ الفكـر الانسانى ، وفى وسعنا أن نقرر ان العلم والفلسفة العربيين قد مهدوا للنهضـة الاوربية ، وقد سبق العـرب الى أراء ومخترعات لم يهتد اليها علماء الغرب الا بعد نحو خمسة قرون . والغـرب نفسه يعترف اليوم بما كان للعرب من سبق فى ميدان البحث والدراسة .

واذا لاحظنا أن النهضة العربيـة الحديثة لم تبدأ الا فى أوائل القـرن الماضى ، وفى بلاد عربية قليـلة فان ما دونته حتى الان يمكن أن يعتد به . وهذه النهضة فى نمـو وازدهار شامل ويرجى أن تؤتى اكلها شرقا وغربا .

وفى العلم العـربى فكر جديد ، ومحاولة احياء نشيطة للتراث الاسلامى ونستطيع ان نقول ان العرب يتـولون بأنفسهم احياء تراثهم وليسوا فى حاجة الى معونة من المستعمرين والمستشرقين وهذا الاحياء يؤكد يقظة ووعيـا جديدين ، ويوجه نحـو الافاق للدرس والبحث ، هذا الى ان هناك تيـارات فلسفية بدأت تظهر فى العالم العربى على غرار ما يلحظ فى العالم الاوربى والعلم والفلسفة ملك للانسانية جمعاء ، واذا كان الغرب قد غذاهما طوال القرون الاربعة الاخيرة ، فاننى لا اشك فى أن العرب سيدلون بدلوهم فى هذا المضمار ولهم بالفعل اختراعات ومبتـكرات ، وسيزيد هذا الخلق والابتكار على مر الزمن .

●● فى الستينات برزت اقلام تناصر تناول العامية فى الاعمال الادبية ..

هل اختفاء الدعوة للعامية الآن يشكل في حقيقته انتصارا نهائيا للغة العربية في مجال الأدب .. وهل معنى هذا أن تنتصر الفصحى ذات يوم في مجال التخاطب بين الناس ؟

– اعتقد ان موضوع العامية أصبح في خبر كان ، لأن الفصحى أخذت تحل محلها في ميادين كثيرة في الإذاعة المسموعة والمرئية ، في بيانات القادة والسياسيين وفي خطبهم وهي كثيرة الورود . ويكفي أن نشهد اجتماعا جماهيريا ، ونصغى الى المتكلمين ، فنلاحظ أن لغتهم تقترب من الفصحى شيئا فشيئا .

ولا شك أن عامية اليوم خير من عامية الامس .. حسن لفظها ، واستقامة تراكيبها وكل ذلك نتيجة محو الامية ومتابعة الصحافة اليومية ، والاشتراك في اللقاءات الشعبية والاجتماعية . وللاذاعة شأن كبير في تقدم اللغة العامية .

والفصحى نفسها تميل الى اليسر والسهولة والوضوح ، فهناك حركة تلاق من الجانبين : العامية في صعود ، والفصحى تبعد عن التعقيد والالفاظ الغريبة غير المألوفة .

وأخيرا للقومية العربية شأن كبير في محاربة العامية ، واللغة هي الوشيجة الوثيقة في ربط البلاد العربية بعضها ببعض . وتجربة الجزائر من التجارب الرائدة التي ترمي الى العودة الى العربية الصافية .

●● ظهرت دعوات وانعقدت مؤتمرات تنادى بتعريب العلوم في جامعاتنا ومعاهدنا العلمية ، ولكن هناك وجهات نظر تتخوف من هذا قبل أن تستكمل مكتبتنا العلمية تماما ، ما موقفك أنت من هذه القضية خاصة وهناك دور ريادى كبير بالنسبة لك بصفة خاصة ، وللمجمع المصرى بصفة عامة ؟

– هذا الأمل أصبح اليوم واقعا ملموسا ، فالتعليم في المدرسة الثانوية كله بالعربية الآن في مشرق العالم العربي ، ويحاول المغرب أن يسلك نفس السبيل .

وهناك تعريب مستمر في التعليم العالي والجامعي ، فالعلوم الانسانية كلها تدرس بالعربية، والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر ، وفلك واحصاء تدرس كلها أيضا باللغة العربية . ولم يبق الا العلوم الطبيعية من طب وكيمياء وفسيولوجيا وصيدلة وهذه بدورها في الطريق السليم للتعريب .

ويكفي أن نشير الى أن الكتب العلمية التي ظهرت في ربع القرن الأخير انما كتبت باللغة العربية وظهرت أيضا معجمات علمية كثيرة تجمع بين المصطلح الاجنبي ومقابله العربي .

ولا شك في أن الجامعات والمجامع اللغوية ، واتحاداتها تسعى جاهدة الى استكمال التعريب في المرحلة الجامعية .. والمهم أن يحسن الاستاذ الجامعي لغته الوطنية ، وأن يكتب بها ويؤلف .. ومتى تحقق ذلك سيتم التعريب في يسر